

الوحي الإلهي

دراسة موضوعية في ضوء القرآن والسنة

أ. د. / محمود بسيوني فودة
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن

من المباحث التي تعد من الأهمية بمكان مبحث الوحي ذلك لأن هذا المبحث يبين عليه كل ما يتعلق بالدراسات القرآنية إذ أن الإيمان بالوحي هو الباب الذي يدخل منه الإنسان ليؤمن بكل ما أنزله الله تعالى على رسله فإيمان بنزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم لا يتأتى إلا بعد الإيمان بالوحي وأساليبه وإتصالات الروحانية بالملأ الأعلى واستعداد الإنسان لمعارفته عن الله تعالى بواسطة الملك على غير الطريقة المعتادة بين البشر^(١) .

وقبل أن نخوض في الحديث عن حالات الوحي ووقوعه بالدليل القاطع العقلي والنقلي نريد أولاً أن نتحدث عن مدلول الوحي ومعناه من حيث اللغة والإصطلاح . . . فما هو الوحي ؟

جاء في لسان العرب لابن منظور تحت كلمة وحي : الوحي : الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفى وكل ما ألقىته إلى غيرك .. يقال : وحيت إليه الكلام وأوحيت ، وحي وحيأ وأوحى أيضاً أى كتب . وأوحى إليه : بعثه ، وأوحى إليه : ألهمه ، وفي التنزيل العزيز : وأوحى ربك إلى النحل .. ، وفيه : بأن ربك أوحى لها : أى إليها فمعنى هذا أمرها .. وقال الفراء في قوله : فوحي إليهم : أى أشار إليهم قال والعرب تقول أوحى وحي وأوحى يوماً بمعنى واحد .. وأوحى ما يوحيه الله إلى أنبيائه .. ويقول الأنباري في قولهم أنا مؤمن بوحى الله سمي وحيأ لأن الملك أسره على الخلق وخص به النبى^(٢) .

وقال الراهب أصل الوحي الإشارة السريعة ولتضمن السرعة قبل أمر وحي يعنى سريع وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة بعض الجوارح ومنه الإلهام الغريزي وإلهام الخواطر بما يلقى الله في روح الإنسان السليم الفطرة الطاهر الروح كالوحي إلى أم موسى .

يقول فضيلة الدكتور محمد أبو شهبة بعد أن ذكر بعض المعانى اللغوية لمعنى الوحي (فالخلاصة في معنى الوحي اللغوي أنه الإلهام الخفى السريع وهو أهم من أن يكون بإشارة أو كتابة أو رسالة أو إلهام غريزي أو غير غريزي وهو بهذا المعنى لا يختص بالأنبياء

وأما في الشرع ..

(١) انظر مثاهل العرفان ج ١ / ص ٥٦

(٢) انظر لسان العرب ج ٦ / ص ١٧٨٧

فيطلق ويراد به المعنى المصدرى ويعرف على هذا بأنه إلهام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو بغير واسطة فهو أخص من المعنى اللغوي لخصوص مصدره ومورده فقد خص المصدر بالله سبحانه وخص المورد بالأنبياء . ويطلق ويراد به المعنى الحاصل بالمصدر وعلى هذا يعرف بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من عند الله سواء أكان الوحي بواسطة أم بغير واسطة ويطلق ويراد به الوحي به وعلى هذا يعرف بأنه ما أنزله الله على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم ومنهم من أعطاه كتاباً ومنهم من لم يعطه . وهناك تعريف آخر .. « بأنه كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه » وهو تعريف له بمعنى اسم المفعول أى الوحي . والإمام الشيخ محمد عبده تعريف ذكره في رسالة التوحيد وهو « عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله تعالى بواسطة أو بغير واسطة والأول بصورت يتمثل لسمعه أو بغير صوت » . ويترك بينه وبين الإلهام بأن الإلهام وجدان تستيقظ النفس فتتنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى وهو أشبه بوجودان الجوع والعطش والحزن والسرور . (١)

أقسام الوحي وكيفية آياته :

حديثنا عن أقسام الوحي وكيفية آياته تقتضي أن نبين بأن معرفة أقسام الوحي وكيفية آياته لا يتأتى إلا عن طريق النقل الصحيح من الكتاب والسنة وما يستتبع منها وأيضاً عن طريق الصحابة الذين شاهدوا قرائن الوحي وكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقى الوحي وبالرجوع إلى القرآن نفسه وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما روى عنه عن الصحابة الأجلاء نستطيع أن نقول أن الوحي ينقسم باعتبار معناه المصدرى إلى ما يأتى :

(١) تكليم الله أنبياءه

بما يريد من وراء حجاب .. وقد حدث هذا لحظة لا مناساً مع نبي الله موسى عليه السلام وفى هذا يقول الله عز وجل « وكلم الله موسى تكليماً » (٢)

وقال عز وجل « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه » (٣)

وثبت في الصحيح أن الله عز وجل كلم خاتم المرسلين محمداً صلى الله عليه وسلم

(١) انظر النقل لسراسة القرآن د/ محمد أبو شهبة ص ٨٤ والوحي المصدرى للشيخ محمد رشيد رضا ص ٤٤

(٢) النساء ١٦٤ . (٣) الأعراف ١٤٣ .

ليلة الإسراء والمعراج . ولقد تحدث علماء الكلام في كيفية هذا الكلام ونفخار قول أهل السنة فلم قولان في الكلام المسموع فقبل هو الكلام النفسي القديم المجرد عن الحروف والأصوات ولا استحالة فيه حيث إن النبي الذي إختصه الله برحمته قد ملحه مزايا وخصائص لا تعرف للإنسان العادي فنفسه بأصل فطرته مهيئة لأن تسمع الكلام النفسي بطريقة لا تعلمها لأنها من آيات الله عز وجل المرتبطة بخوارق النواميس المعروفة لنا .

(٢) الرؤيا في النوم :

وهذا نوع من أنواع الوحي لأن هناك فرقاً بين ما يراه الإنسان العادي في نومه وما يراه النبي فالإنسان العادي قد يرى حلماً يأتيه من طريق الشيطان أو من طريق هواجس نفسه وقد يرى رؤيا وهي من الملك كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال « العلم من الشيطان والرؤيا من الملك » . أما النبي فلا سلطان للشيطان عليه ونفسه راضية مرضية لا تأمره إلا بخير فهو بطرقه لا يأتيه إلا الخير من الله تعالى . ولهذا كانت الرؤيا وحياً من الله عز وجل ولا مرأى في ذلك فتصوص القرآن والسنة الصحيحة تثبت أن الرؤيا وهي حقيقي من الله تعالى دون البس أو غموض ولا أدل على ذلك مما رواه الإمام البخاري عن عائشة أم المؤمنين قالت : أول ما بدء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وصرح القرآن في أكثر من موضع بما يفيد أن الرؤيا حق وحي من الله تعالى لنبيه فلقد أوحى الله عز وجل لنبيه وخليفه إبراهيم عليه السلام أن يذبح ولده إسماعيل وكان هذا في رؤيا واستقبل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ذلك على أنه وحي وإمتثالاً لأمر الله عز وجل . وفي هذا يقول الله سبحانه : (فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) (١)

وحديثنا القرآن الكريم عن رؤيا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في منامه أنه وأصحابه سيدخلون المسجد الحرام إن شاء الله آمنين . وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) (٢)

(١) السجرات الآية ١٠٢ . (٢) التفتح الآية ٢٧ .

(٣) القذف في الطلب :

وقد يأتي هذا إما عن طريق ملك يأمره الله تعالى أن يقذف في قلب نبيه شيئاً من الوحي أو يلهم الله نبيه بما يريد أن يوحى إليه مع اليقين لدى النبي بأن هذا وحي ومن ذلك ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم : « إن روح القدس نفث في روعي » (١)

إن نفساً لم تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب .
(٢) الزُّرْع : بضم الزاء القلب والغطر .

(٤) تعليم الله أنبياءه بواسطة ملك :

وهذا هو أهم أنواع الوحي أن الله سبحانه وتعالى يختص بذلك من ملائكته أمين الوحي جبريل عليه السلام وهذا القسم الرابع يسمى الوحي الجلي .
هذا وبالرجوع إلى القرآن الكريم نجد أن الله سبحانه وتعالى بين هذه الأقسام في آية من كتابه حيث قال سبحانه (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً) أي إلا أن يوحى إليه وحياً بأن يقذف في روح النبي شيئاً لا يتعارى فيه أنه من الله عز وجل وقد ذكرنا مثال ذلك (أو من وراء حجاب) أي أو إلا من طريق لا يرى السامع المتكلم جهرة مع سماعه للكلام كما كلم موسى عليه السلام ربه (أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء) أي أو يرسل الله من ملائكته رسولا إما جبريل أو غيره فيوحى ذلك الرسول إلى المرسل إليه ما يشاء ربه أن يوحى إليه من أمر ونهى كما كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى غيره من الأنبياء (إنه على حكيم) (٢)

تلقى جبريل الوحي وتلقى النبي للوحي من جبريل .. كيف كان ذلك ؟

الحديث عن تلقي جبريل للوحي أمر من عند الله من أنباء الغيب لا يخضع لإجتهاد مجتهد ولا مجال للرأي فيه . اللهم إلا بقدر ما يستنبط المسلم من نص أو يرجع رأياً على أساس من سند نقلي وبالنظر في كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم نجد أن الله تعالى لم يطلعنا على هذا الأمر بصورة صريحة وأهل هذا يعود إلى رحمة الله بنا فمن فضل الله ورحمته أن الله تعالى لم يكلفنا إلا بما تطيق ولم يخاطبنا إلا بمقدار إدراكنا كبشر ولا ريب أن من الغيب ما لا تطيق إدراكه فأخفاء الله عنا رحمة بنا غير نسيان وما كان ربك ليهيئ - تعالى ربنا عن

(١) الزُّرْع : بضم الزاء القلب والغطر . ٢٤

(٢) الآية ١٦ الشورى - وانظر تفسير المرفعي ص ٦١ .

ذلك - ومع هذا فهناك أقوال ذكرها العلماء هي في جوهرها لا تعارض نصاً صحيحاً . وهي في جوهرها مقبولة مع تفويض الأمر في النهاية لله سبحانه وتعالى ومن ذلك ما ذكره البيهقي في تفسير قول الله تعالى (إنا أنزلناه في ليلة القدر) قال : يريد والله أعلم إنا أسعنا الملك وأفهمناه إياه وأنزلناه بما سمع .

كما روى الطبراني من حديث النّوّاس بن سميان مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله فإذا أسمع بذلك أهل السماء صعدوا وخرواً سجداً فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فكلّمه الله بروحيه بما أراد فينتهي به إلى الملائكة فكلما مر بسماء سأل أهلها ماذا قال ربنا ؟ قال الحق فينتهي به حيث أمر .

وقال الطيبي : لعل نزل القرآن على الملك أن يطلقه تلقاً روحانياً أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذا الرأي الذي قاله الطيبي له شواهد في القرآن الكريم فالله سبحانه وتعالى

يقول : (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) (١)

ويقول عز وجل : (حم . والكتاب المبين . إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون . وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) (٢)

ومن المعلوم أن المراد بأم الكتاب هو اللوح المحفوظ الذي فيه العلم المطلق لله عز وجل وما علينا تجاه تلقي جبريل للوحي إلا أن نؤمن بما نطق به القرآن أو جاءت به السنة الصحيحة دون زيادة لأن هذا غيب لا نعرفه إلا عن طريق المعصوم الذي أوحى الله إليه .

وننتقل بعد هذا إلى الشق الثاني وهو كيف كان يتلقى النبي الوحي عن جبريل أمعن الوحي وبالرجوع إلى السنة الصحيحة وجدنا جواباً شافياً ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتلقى الوحي عن جبريل على حالتين :

(١) الحالة الأولى :

أن يتحول جبريل عليه السلام من الملكية إلى الصورة البشرية فيأتي في صورة رجل ويراه الناس رأي العين وغالباً كان يأتي في صورة دحية الكلبي أو صورة أعرابي لا يعرف ومما يدل على ذلك ما رواه الإمامان البخاري ومسلم وغيرهما : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل ولا نعرفه منا

(١) البقرة الآية ٢٦ - ٢٧ . (٢) الزخرف الآية ١ - ٤ .

أحد .. وفي آخر الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ردوا على الرجل فذهبوا فلم يجنوه فقال : هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم .. وهذه الحالة أهون الحالتين على الرسول .

(٢) الحالة الثانية :

أن ينسلخ النبي صلى الله عليه وسلم من حالته البشرية العادية إلى حالة أخرى وبها يصير مستعداً ومؤهلاً لتلقي جبريل والوحي منه وجبريل على حالته الملكية وعندما يكون كذلك يظهر أثر التغير والإنفعال على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغط غطيط الغائم ويغيب غيبة كأنها غشبية وما هي في شيء من ذلك إن هي كما يقول فضيلة الشيخ عبد العظيم الزرقاني : إلا إستغراق في لقاء الملك الروحاني وإنخلاع عن حالته البشرية العادية فيؤثر ذلك على الجسم فيغط ويتقل ثقلاً شديداً قد يتسبب منه الجبين عرقاً في اليوم الشديد البرد .. وقد يكون وقع الوحي في الرسول كواقع الجرس إذا صلصل في آذن سامعه وذلك أشد أنواعه وريه .. مع الحاضرون صوتاً عند وجه الرسول كأنه نوى النحل لكنهم لا يفهمون كلاماً ولا يفقهون حديثاً . أما مرسلات الله وسلامه عليه فإنه يصنع ويهي ما يوحى إليه . ويعلم طمأ خسرورياً أن هذا هو وحي الله دون لبس ولا خفاء فإذا تجلى منه الوحي وجد ما أوحى إليه حاضراً في ذاكرته ، منتعشاً في حافظته كأنما كتب في قلبه كتابه (١)

وهذا الكلام الذي قاله العلماء لم يكن عن إعمال عقل نون سند نقل فهذا الأمر كما قلنا مستخره النقل الصحيح عن المعصوم صلى الله عليه وسلم .. فقد روت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها كما جاء في صحيح البخاري أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني (٢)

وقد وحيت منه ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول .. وتقول عائشة رضي الله تعالى عنها : ولقد رأيت يهزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد وإن جبينه ليتفصد عرقاً .

كيف تلقى النبي القرآن :

من الأمور المسلمة والتي ينبغي على المسلم أن يأخذها بيقين أن القرآن كله نزل عن

(١) انظر مشاهير العرفان ج ١ / ص ٥٧ . (٢) القسم : القطع من غير إبانة .

طريق جبريل ولم يأت شيء منه في الرؤيا أو عن طريق الإلهام أو عن تكليم بل إنه كله جاء بوحى نزل به جبريل في اليقظة وحيأ جليأ ، وهذا ما جاء صريحاً في كتاب الله تعالى ، فبالله عز وجل يقول (وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك ، لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين) (١)

فهذا النص الإلهي يصد أي لبس أو غموض ولا يفتح باباً لمزاج فيه أن القرآن كله نزل به جبريل عليه السلام أمين الوحي على قلب النبي صلى الله عليه وسلم وأيضاً مما يؤكد هذا ما رواه البخاري عن ابن عباس في قوله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) (٢)

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة ، وكان مما يحرك شفتيه ، ومن المعلوم أن هذه الشدة كانت عند لقاء الرسول بجبريل بعد أن ينسلخ الرسول من بشريته حتى يكون مستعداً لتلقي الوحي ، وجهزنا هذا إلى أمر قال به أهل العلم على سبيل القطع وهو أن القرآن الكريم كله نزل وجبريل على ملكيته ، وهذا أمر لا ريب فيه فلو أن جبريل نزل بالقرآن وقد تحول إلى الصورة البشرية لحاول المشركون أن يشككوا في القرآن بدعوى أن الذي بكلمه بشر ..

يقول فضيلة الشيخ الدكتور محمد أبو شهبة رحمه الله : لو أنزل شيء من القرآن في الحالة وهو مجئ جبريل في صورة رجل ، لكان هذا مثاراً للشك والتبليس على ضعفاء الإيمان ولكان فيه مستند للمشركين في قولهم (إنما يعلّمه بشر) وقد أشار الله تبارك وتعالى في هذا في قوله حكاية لقالة المشركين وروأ عليهم .. (وقالوا لو أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون) (٣)

فكان من الرحمة بالعباد وهدم التبليس عليهم ألا ينزل القرآن إلا في هذا الجو الملائكي الروحاني .

الوحي حق مهما إوقات المبطلون :

حاول هؤلاء الذين في قلوبهم مرض أن يشككوا في إمكانية الوحي ، وأن يشيروا حوله الشبه بدعوى أنه أمر يستحيل حدوثه ووسوس إليهم الشيطان فإذا بهم

(١) الشعراء الآية ١٩٢ - ١٩٥ .

(٢) القیامة الآية ١٦ .

(٣) الأنعام ٨ - ٩ .

يؤمنون أن الوحي يتعارض مع ما وصل إليه العلم ، وخابوا وخسروا بعد أن أثبت العلم المادى أموراً تقرب إلى الذهن أن الوحي حقيقة مهما إرتاب المبطلون وقبل أن تفصل هذه المسألة التي تثبت أن العلم المادى الحديث جعل العقل البشرى يستقبل أمر الوحي بون ذهنية أو إستغراب قبل هذا .. نحى أن نبين أن مبنى الوحي ومدوره تقوم على ثلاثة أمور :

- (١) وجود « روح » : وهو الله سبحانه وتعالى .
- (٢) وجود رسول من الملائكة : يحمل وحي الله إلى رسله من البشر .
- (٣) وجود نفس اصطفاها الله عز وجل : وإختصها برحمته وجعلها مستعدة لإستقبال وحي الله عز وجل ليصل بعد ذلك إلى الناس بون ليس أو زيادة أو نقص .

وبكل ذلك موجود وواقع لا ينكره إلا مكابر يختم الله عز وجل على قلبه وجعل على بصره غشاوة ففضل وأفضل وبالنظر في كتاب الله تعالى نجد آية من آيات القرآن العزيز جمعت ذلك كله فيقول سبحانه (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنزلوا أنه لا إله إلا أنا فانتقون) ..

ونعود إلى موضوع العلم الذى حاول من خلاله الملاحدة أن يشككوا فى حقيقة الوحي نقول لهؤلاء الذين أنكروا الوحي ، إن العلم نفسه يثبت حقيقة الوحي وإن كان الوحي من أنباء الغيب لا يتحقق إلا بإرادة الله وأمره ولا يطيق إلا من عصمه الله عز وجل وإختصه برحمته ولا يكون إلا ومع هذا فإن العلم فى عصرنا الحاضر صدم هؤلاء صدمة عنيفة هذه الصدمة كما يقول فضيلة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى رحمه الله غيرت رأيهم فى إنكار ما وراء المادة حيث إن العلم المادى أتى بأدلة لا وراء فيها تثبت قلوب الذين آمنوا ويشقى الله بها صدور قوم مؤمنين وإذا قلنا أنها أدلة على ثبوت الوحي فلا بد أن نبين بأن الوحي شئ آخر ، ذلك أن الوحي كما قلناه من صنع الله القادر على كل شئ ، أما ما إستحدثه العلم المادى فهو يأتى من طريق المخترعات البشرية وأعمال العقل .

ومن ذلك ما أثبتته العلم المعاصر مما يسمى علم التنويم الصناعى أو التنويم المغناطيسى ، فقد أثبت هذا العلم وجود قوة خفية وراء هذا الهيكل الإنسانى ، وهى الروح ، وبهذه القوة الخفية يتسلط المنوم بكسر الواو على المنوم بفتح الواو ، ويلقى الأول إلى الثانى ما يشاء ويستجيب الثانى إلى ما يريد الأول ، وقد أجريت فى هذا تجارب عدة حتى أصبح أمراً مسلماً به ، فإذا كان هذا الذى يحدث يتم بين

مظنون ومصنوق فلا عجب من أن يتم الوهم بين الله وهو الصالح وبين من
إحتصمهم عن البشر ، وهم أئمة

ويحكى لنا فضيلة الشيخ محمد عبدالعظيم لوزقاس تجربة حضرها ورآها بنفسه
قادت ببادئ جمعية لشباب المسلمين على مرأى ومسمع من جمهور مثقف كبير
يقول : قام المحاضر - وهو إستاذ في التنويم المغناطيسي - وأحضر الوسيط وهو
فتى فيه إستعداد خاص للتأثر بالأستاذ ، والأستاذ فيه إستعداد خاص للتأثير على
الوسيط فالأب ضعيف النفس وانثى قويا ، والوسط والقوة وجهه ليس هذا
موضع بيانها . نظر الأستاذ إلى عيني الوسيط نظرات صيلة نافذة ، وأجرى عليه
حركات يسمونها مسحات ، لما هي إلا لحظة حتى رأينا الوسيط يخط خطوات
النائم وقد إمتنع لونه وحمد جسمه ، وفقد إحساسه المعتاد حتى لقد كان أحسنا
بفرجه بالإبرة وحررات حدة ، فلا يبدي الوسيط حركة ، ولا يظهر أى عرض لشعوره
ورحساسه بها . وحينئذ تأكدنا أنه قد دام ذلك اليوم الصناعي أو المغناطيسي
وهالك نسيب الأستاذ على الوسيط يسأله ما إسمك ؟ فأجابته برسمه الحقيقي ،
فقال الأستاذ ليس هذا هو إسمك ، بما إسمك كذا ، وإفتري عليه إسماً آخر ثم
أخذ يقرأ في نفس الوسيط هذا الإسم الجديد لكاتب ، ويحورمه أثر الإسم
القديم أصابك بوساطة أيديهم بلقها ، ياء في صورة الأدلة ويكلام بوجهه إليه في
صيغة الأمر والنهي ، وهكذا أملى عليه هذه الأكتوبة أملاء وفرغها عليه فرغاً
حتى خضع لها الوسيط وأذعن . ثم أخذ الأستاذ وأحسنا بناديه برسمه الحقيقي
المرء بعد الأخرى في فترات متقطعة . وفي أثناء الحديث على هيئ غفلة ، كل ذلك
وهو لا يجهل ، ثم ناديه كذلك بإسمه المصنوع لهجيب بون تردد ولا تعلم ثم أمر
الأستاذ وسيطه أن يتذكر دائماً أن هذا الإسم الجديد هو إسمه الصحيح حتى إلى
ما بعد نصف ساعة من صعوده وبقائه ثم أيقظه وأخذ يتم محاضراته ونحن
نلاحظ الوسيط بإسم الحقيقي فلا يجيب . ثم يقوم بإسمه الثاني لهجيب حتى إذا
مضى نصف الساعة المضروب ، عاد الوسيط إلى حالة من الحلم برسمه الحقيقي
وهذه التجربة أثبت الأستاذ أن المزم بكسر الواو يستطيع أن يحمي من نفس
وسيطه كل أثر يريد منه مهما كان تأيماً في النفس ^(١)

يجانب هذا فكل ما إستحدثه العلم من وسائل إتصال ، وبها يسمع الناس
الأحداث المسجلة التي تحصلها اليوم مراحات الأثير عابرة لوهاد والسهول والنهار

(١) مناقب أمير المؤمنين ج ١ / ص ٦٠ - ٦١

وصار من الميسور أن يخاطب إنسان إنساناً في الهاتف ، إحداهما في أقصى المشرق والآخر في أقصى المغرب ، وقد يترايان ، وما يحدث الآن في أي مكان على الأرض ينتقل إلى الناس جميعاً عبر ما يستحدثه الناس من الأقمار الصناعية وكل هذا يتم بتجارب علمية عن طريق أعمال العقل ، فكيف تستكثر الوحي الذي يأتي من طريق القادر المقدر الذي يقول للشيء كن فيكون .. وصدق الله العظيم إذ يقول : (سنزيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ، ألا إنهم في سرية من لقاء ربهم إلا إنه بكل شيء محيط) (١) .

(١) فصلت الأيتان ٥٢ - ٥٤ .

ردود على بعض ما أثير من شبه

على الوحي المحمدى

لقد حاول الماديون من الملاحدة والذين أمسى الله بصائرهم أن يشككوا فى إمكانية الوحي وهم بهذا يريدون أن يركزوا على التشويش على الباب الذى لابد منه والدخول عن طريقه حتى يكون الإنسان مسلماً ، إذ أن الإيمان لا يتأتى أبداً إلا بعد التصديق بالوحي ، ولهذا ركز المشركون فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركزوا أيضاً على مدار العصور على إبطال إمكانية الوحي ، وقالوا ما أنزل الله على بشر من شئ ، لقد نفوا أن يكون وحياً أتى للنبي صلى الله عليه وسلم من الخارج ، فنفوا أن يكون وحياً من خارج نفس النبي ، وقالوا إنه وحى من داخل نفسه ، وقالوا نحن لا نشك فى صدق محمد فى خبره عما رأى وسمع ، وإنما نقول إن منبع ذلك من نفسه ، وزعموا أن منازع نفسه العالية وسريته الطاهرة وبقرة إيمانه بأله ، جعله يتصور ما يعتقد وجوبه إرشاداً إلهياً نازلاً عليه من السماء ، وقالوا بل كل ما قال أنه جاء بروحي إنما هو نابع من نفسه ، ومن عقله الباطن ، وما يفسد له حقاً أن بعض ادعاء الإسلام ساروا وراء هذه الشكوك من سذاجة أو جهل ، وبعضهم من هؤلاء الذين تلقوا العلم فى الغرب ، ولقد بنوا على ما زعموا مقدمات تخيلوها ، واقتروا على الله الكذب ، وبدأوا يبحثون عن أموراً قالوا أنها أساس هذه التفسيرات وأساس ما أخبر به القرآن الكريم من قصص الأمم الفائرة ، فمثلاً زعموا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يصحب معه أبا طالب فى رحلاته التجارية فسمع وهو على سفر من بعض الأعراب الذين كانوا يسكنون النياز التى يمر عليها ، كدبار ثمود ومدين ، وزعموا أيضاً بأنه سمع بعض الأخبار من بعض أعيان اليهود ورجال النصارى ، مثل بصيرى الراهب ، وقالوا أيضاً بأن ورقة بن نوفل الذى قد تنصر فى العصر الجاهلى ، والذي كان على علم بالكتب السابقة كان قريباً لفديجة رضى الله عنها ، وزعموا أيضاً بأنه كان بمكة أناس من اليهود والنصارى يسكنون أطرافها ، وأضافوا إلى هذه الأباطيل والترهات ما زعموه أن الرسول صلى الله عليه وسلم توصل إلى ما توصل إليه بالخلوة فى غار حراء ، والإنقطاع إلى عبادة الله وحده ، وكان لهذا التعبد والتفكر أثرهما فى صقل نفس محمد ، وإمتلاء قلبه بوجدانية الله وينوا على هذا أن المعلومات التى جاء بها فى هذا الوحي مستمدة من تلك

النبأ (١).

هذه هي أهم ما أورده هؤلاء الملاحدة من شبه أئمتنا بها إجمالاً ولم تذكرها بالتفصيل لأنها أمون من أن تذكر (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يطمون) (٢).

ونرد على هذه الطبهات وقد سبقنا إلى هذا علماؤنا الراسخون في العلم ، فنقول بتوفيق الله : إن الثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد صلب عنه أيا طالب في التجارة ، ولكنها كانت مرة واحدة وهو ابن تسع سنين ، وعندما رآه الراهب « بحيرى » وجد فيه علامات النبوة لما كان يطمه من قرب ظهور نبي ينقل البشرية ويخرجها من الظلمات إلى النور ، وقد ذكر لعمه أنه سيكون له شأن ، وحذره أن تناله اليهود بشراً ، ولم يثبت قط أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ من بحيرى طمأ ، وعندما وصل إلى مرحلة الشباب وخرج في تجارة للسيدة خديجة لم يعرف أنه جاوز مدينة بصرى ، وكان قصده من هذا السفر التجارة ، فلم يتصل بأخبار اليهود وربهاته النصراني ، وأما ما تقوله المنقولين من أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على ديار مدين وسمع من أهلها أخبار الأمم الفائرة ، فهذا غير صحيح ، وأين مدين من طريق تجارتهم إلى الشام ، وأما ما تقولونه عن ورقة بن نوفل ، وأنه كان قريب خديجة لما ثابت أن ورقة بن نوفل عندما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث عن أول لقاء بينه وبين جهنم ، ونزل صدر سورة الفلق قال ورقة هذا هو الناموس الذي كان ينزل على موسى وبعد ذلك توفي ورقة وفتر الوحي .

أما عن انتشار اليهودية والنصرانية في بلاد العرب وتأثر النبي صلى الله عليه وسلم بهؤلاء الذين تهرنوا أو تنصروا من العرب ، فالحق أن اليهودية والنصرانية لم تكن منتشرة في بلاد الحجاز ، وعندما بحث الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بمكة لم يكن بها يهود ولا نصاري ولقد كان اليهود بجوار المدينة المنورة ومع هذا فلم يكن لهم أثر يذكر في جيرانهم أما ما زعموه من أن الرسول صلى الله عليه وسلم من أنه تأثر بالخلوة والتعب في حراء حتى رأى له أنه يوحى إليه وأن الملك يلقنه فهي دعوى باطلة فرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كان يتعب بفار جواء ما دار بخلده أنه نبي هذه الأمة ، بل أنه كان يذهب إلى حراء حتى يكون بعيداً عن

(١) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم : د/ محمد أبو شهبة ص ٩٠ - ٩٢ مع الإيجاز والتصرف .

(٢) العنكبوت الآية ٤١ .

الرجس والمذمومات والأخلاق الفاسدة التي كانت سائدة في مكة وما جاورها أيام الجاهلية ، وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك) (١) . والحق أن كل نفس تبحث عن الحق بإنصاف ودون زيغ في القلب ، فإنها عندما تعيش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع مراحل عمره فلا بد أن تؤمن بأنه الصادق الأمين النبي الأمي الذي أرسله الله تعالى وبرسالته أكمل الله دينه وأتم نعمته ورضي الإسلام ديناً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم .

١ . د / محمود بسيوني فودة
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بالكلية

(١) القصص الآية ٨٦ .